

نجاح الاستشراق وطموح الاستغراب

*Enable Orientalism and Ambition Westologie*د. بلالي عبد المالك^{1*}، د. درويش توفيق²¹ جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، malikbalali@yahoo.com² جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، tderouiche@ymail.com

تاريخ الإستلام: 2021 / 08 / 25 تاريخ القبول: 2022 / 06 / 04 تاريخ النشر: 2022 / 06 / 14

ملخص:

تتمحور هذه الدراسة حول ظاهرتي الاستشراق والاستغراب، حيث تطرقنا إلى الاستشراق كونه ظاهرة اجتاحت العالم الإسلامي وخاصة منذ الحملة الصليبية، من حيث المفهوم والنشأة والظروف والعوامل التي ساعدت على نجاحه وبلوغ أهدافه للسيطرة على العالم الإسلامي فكريا وعقائديا. وفي المقابل عرجنا على الاستغراب كونه ظاهرة جاءت كرد فعل للاستشراق، وهي محاولة طموحة لدراسة العالم الغربي من الداخل لغرض السيطرة عليه أو مواجهته على الأقل لمخططاته، إلا أنها مجرد محاولة فرية أو جماعية صغيرة، حيث أن الاستغراب تعثر ولم يصل لأهدافه المسطرة لغياب ظروف وعوامل نجاح الاستشراق.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الاستغراب، المستشرق، المستغرب

Abstract:

This study revolves around the phenomena of orientalism and Occidentalism, where we touched upon orientalism as a phenomenon that swept the Islamic world, especially since the crusade, in terms of the concept origin circumstances and factor that helped his success and achieve his goals to control the Islamic world intellectually and ideologically.

And in return we came to the strangeness as it was phenomenon that came as a response orientalism which is an ambitions attempt to study western world from within for the purpose of confronting it with its plans, but it is just a small groups or individual attempt, as Occidentalism faltered and did not reach its established goals due to the absence of the conditions and factor for the success of orientalism.

Keywords: orientalism, Occidentalism, Orientaliste, Étonnement.



١. مقدمة

عرفت الأمم والشعوب منذ فجر التاريخ تغيرات عديدة في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، حيث سيطرت أمم على أخرى واستحوذت على خيراتها وكادت أن تطمس هويتها ووجودها ، وهذا أمر طبيعي في الإنسان بحبه السيطرة والاستحواذ مستخدما كل الطرق والآليات ، ومن بين الطرق التي يستخدمها الإنسان ضد الآخر القوة العسكرية والجوسسة وزرع الأعوان والعملاء في مختلف مفاصل ذلك البلد . ومع مرور العصور تطورت الآليات وجند الإنسان كل ما يملك لغرض التفوق أو الاستفادة من الآخر ، فلجأت حكومات وأفراد لاستفادة من غيرها بدراسات بحثية استطلاعية واستكشافية أكاديمية وحررة من نابع ديني إيديولوجي عرفت بما يسمى الاستشراق الذي يعرف بالدراسات الترجمية والاستكشافية لدول الشرق سواء كان الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى ، حيث اغتنم الرهبان قوة المسلمين ودرسوا عندهم مدة من الزمن خاصة في الأندلس تعلموا علومهم وآدابهم وسياساتهم ورغبوا في اللحاق بهم بعدما انبهروا بهذه الحضارة مستفسرين عن سبب تفوقهم وازدهارهم ، فانتشرت في بلاد الروم الدواوين للترجمة وشجعوا من يقوم بذلك ربما اقتداء بما كان يقوم به الخليفة المأمون لاهتمامه بترجمة مؤلفات الإغريق والفرس للاستفادة من علومهم ، فالغربيون استشعروا الفقر والظلم حيث عاشوا خلال تلك القرون أحلك أيامهم ، بينما المسلمون كانوا يتنعمون في الخيرات ، لذا عمد الغربيون لمعرفة هذه الأسرار للوصول إلى الحضارة بالإضافة إلى رد الاعتبار لأنفسهم بما يعتبرونه تهديدا لوجودهم وبقائهم بعد أن كاد المسلمون السيطرة على معظم أراضي الغربيين ، فلقد كان لهم ما أرادوا من خلال المجهودات التي قاموا بها وما توصلوا له وما يعيشونه اليوم ، فغزا المستشرقون الغربيون المكتبات الإسلامية ونقبوا في انجازاتهم ومخطوطاتهم ولم يتركوا شيء بما في ذلك الشعر ، فاستفادوا من كل شيء عثروا عليه ، ومنهم من اعترف بفضل المسلمين كأمثال " المستشرق الألماني زيغريدهونكة " في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب ، والمستشرق الألماني " هيردر " إذ يقول لقد كان العرب أساتذة أوربا ، ومنهم من جحد فضل المسلمين في تطورهم ، ومنهم لم يتوقف عن هذا بل راح يتناول على المسلمين وعلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من ابتكر خدعة للتخلص من اللغة العربية للتخلص من الدين منهم المستشرق الألماني " ولهم سبيتا " مدير الدار المصرية للكتاب حيث وضع كتاب تحت عنوان " قواعد اللغة العامية في مصر سنة 1880 حيث يقول أن اللغة الفصحى غير قادرة على مسaire الكشوف العلمية والمتطورة في حين امتدح القبطية ، وفي 1882 تابع القضية " اللورد دوفرين " حيث يقول أن العامية هي السبيل الوحيد للتطور ، ثم المستشرق الألماني " كارل فولرس " بعد ولهم وضع كتاب اللهجة العامية الحديثة ودعا فيه إلى هجر الفصحى وحث العرب على استخدام الحرف اللاتيني بدل العربي . وآخرون وصمونا بالرجعيين والمتخلفين وآخرون وضعوا تقسيما لنا جغرافيا " سايس وبيكو " وسيكون بيننا حدود عرقية كما يخططون له أمثال " برنارد لويس " تقسيم العالم الإسلامي . وهذا كله في ظل سبات العالم الإسلامي الذي لم يستيقظ بعد ، لذلك فهم يغتنمون هذه الفرصة لزيادة تحقيق مصالحهم في غياب هذه الأمة على ما يدور في العالم وما يخطط لها . إلا أن هناك ثلة من هذه الأمة مازالوا أحياء ويرغبون في التخلص من هذا الانحطاط والتشردم يرغبون للنهوض ونزع الغبار الذي تكس علىنا لقرون عديدة وأصبحنا فريسة لمن هب ودب فاشتغلوا لوحدهم بغية ردة فعل تكون بمثابة انطلاقة جديدة لرد الكيل بمكيالين لهؤلاء ، وهذه عبارة عن محاولات قد ترى النور يوما ، فذهبوا إلى تشكيل ما يسمى بالاستغراب أي دراسة الغرب من الداخل للاستفادة من علومهم وحضارتهم ومعرفتهم من الداخل مثلما عرفونا نحن من الداخل ، نذكر من بينهم

لا للحرص حسن حنفي. وفي هذا المقام نتساءل لماذا نجح الاستشراق في حين أننا لم ننطلق بعد في الاستغراب؟.

سنعالج في هذا المقام محاور عديدة منها المحور الأول: المفاهيمي المتعلق بالاستشراق والاستغراب والمستشرق والمستغرب. أما المحور الثاني نتطرق فيه إلى تاريخ الاستشراق، والمحور الثالث إلى بعض أسباب نجاح الاستشراق وتعثّر الاستغراب.

أولاً: المحور المفاهيمي

1. الاستشراق

1.1 لغة :

كلمة الاستشراق مأخوذة من الشرق والمشرق - بكسر الراء - اسم الموضع ، أي جهة شروق الشمس ⁽¹⁾ وفي المعجم الوسيط شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت ²

2.1 اصطلاحاً:

الاستشراق ظاهرة ثقافية ومعرفية تغذيها عواطف اكتشاف ذلك المجهول الغامض المحاط بالرموز التي لا تقرأ أحرفها بسهولة، والشرق هو ذلك المجهول في أعماق النفس الأوروبية، ليس مجرد كيان جغرافي بعيد... فالشرق في نظر الثقافة الغربية كون جديد وقارة غاضبة متحدية و ضفة شرقية منتصبه بكبرياء التاريخ كله، تقاوم كل تحد، ولا تستسلم. ³ وهو علم يدرس لغات شعوب الشرق و تراثهم و حضارتهم و مجتمعاتهم و ماضيهم و حاضريهم ⁴. إنه مصطلح حديث أصبح متداولاً منذ القرن الماضي، وهو ترجمة لكلمة *orientalism* وتعني الدراسة الغربية للشرق وهي حركة دراسة العلوم والأدب والثقافة الإسلامية مو مواطن ضعفهم بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاهاتهم وأسباب قوتهم ومواطن ضعفهم. ⁵

فمجموع الدراسات التي تقوم بها أهال الغرب على الشرق، ديانتها وأعرافه، وثقافته، فقد أطلق عليها الدراسة التي تعني بدراسة العالم الشرقي مصطلح، الاستشراق أو أطلق عليها الغربيون الذين يقومون بالدراسة الاستشراقية أنهم جماعة من المؤرخين الكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءاً من حياتهم لدراسة الشرق وتتبعا لواجبها التاريخية والدينية، والاجتماعية، للشرق ⁶. كما يعني الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط لغته و آدابه و تاريخه و عقائده و تشريعاته حضارته بوجه عام ، ويطلق على الذين يقومون بتلك الدراسات (المستعربين). ⁷

والمطلوب الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638 أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية وفي سنة 1691 وصف أنتوني وود Anthony Wood صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعني ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية . ويبرون في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن المستشرقون وإلماعته الكثيرة الدالة على استشراق عميق. ⁽⁸⁾

كما أن الاستشراق له مفهوم واسع وخاص ويعني الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط لغته و آدابه و تاريخه و عقائده و تشريعاته و حضارته بوجه عام ، ويطلق على الذين يقومون بتلك الدراسات (المستعربين). ⁹ فالشرق في نظر الثقافة الغربية كون جديد وقارة غاضبة متحدية و ضفة شرقية منتصبه بكبرياء التاريخ كله، تقاوم كل تحد، ولا تستسلم. ¹⁰

إذ يقول المستشرق رودى بارت: الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي.⁽¹¹⁾

أما المفكر ادوارد سعيد فيرى أن الاستشراق نمطاً من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه¹² ويضيف أنه ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلباً باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق... إنه بالتالي توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية وفي فقه اللغة. وفي السياق نفسه نجد "حسن الزياد" يرى بأنه "دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممهم ولغاتهم وآدابه وعلومه، وعاداته وعلومه ومعتقداته وأساطيره لكنه في العصور الوسطى كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما شاعت منابر بغداد والقاهرة من أضواء مدنية والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقاً في غياهب من الجهل والبربرية والجموح"¹³.

ويرى مالك بن نبي نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية.¹⁴

ومن خلال كل هذه التعاريف يمكن القول أن الاستشراق هو ظاهرة غربية تختص بتراث وثقافة الشرق بغية معرفة التفاصيل عن هذه البلدان قصد التزود بما تملكه من إمكانيات التفوق والتحضر سابقاً وحاضراً ومستقبلاً، وهي دراسات استشرافية قبلية تخوفاً من نهضة هذا العالم العملاق الذي يتبجح في سباته قصد وضع الخطط الممكنة لزيادة هذا السبات لمدة أطول، كما تستعمل هذه الدراسات جيواستراتيجياً للحيلولة دون تفوقه أو بالأحرى تجزئته إلى دويلات متناحرة ومفتتة اقتناعاً بنصيحة الكثير من المستشرقين ومنهم برناد لويس "تقسيم العالم الإسلامي" ومشروع "الضابط الأمريكي رالف بيترز" الذي نشر في مجلة القوات المسلحة الأمريكية جوان 2006 والذي ينص على تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ على أساس عرقي وطائفي.

2. المستشرق:

هو عالم متمكن من معارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه.¹⁵

هم العارفون بخبايا الشرق بعد التمكن من لغاتهم وثقافتهم بهدف التخطيط والسيطرة على هذه الأمم لتمتعها بخيرات هائلة لا تقارن بباقي الأمم الأخرى.

3. المستغرب: المستغرب ليس المغترب فهو يعنى الطامح بالدراسات الغربية أي عكس المستشرق أي له وعي ودراية بالدراسات الغربية وبالعلوم واللغات والمعارف.

4. الاستغراب:

4.1 لغة:

فالغرب خلاف الشرق وهو المغرب، فأحد المغربين أقصى ما تنتهي الشمس في الصيف والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء.¹⁶

4.2 اصطلاحاً:

سنودر بعض التعريف لمن كتبوا وراهنوا وحثوا على دراسة الغرب من الداخل كما يفعلوا فهم تجاه العالم الإسلامي ومنهم حسن حنفي علم الاستغراب، أتي مواجهًا للتغريب "الذي امتد أثره ليس فقط إلى الحياة الثقافية وتصوراتها للعالم، وهدد استقلالنا الحضاري، بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة. ويضيف إنه فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس. مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب لغة وثقافة وعلمًا ومذاهب ونظريات وآراء.⁽¹⁷⁾

ويعرفه أحمد سمايلوفتش الاستغراب بأنه كلمة مشتقة "من كلمة (غرب)، وكلمة غرب تعني أصلاً غروب الشمس، وبناءً على هذا يكون الاستغراب هو علم الغرب، ومن هنا يمكن كذلك تحديد كلمة (المستغرب)، وهو الذي يتبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها⁽¹⁸⁾

في حين يرى ادوارد سعيد أن العرب أصبحوا أسرى حالة من ال (غيتو) لأنهم يكتبون عن العالم العربي بالفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية، وينظر إليهم كمخبرين محليين.⁽¹⁹⁾ ومن خلال هذا يمكن القول أن الاستغراب هو مضاد للاستشراق الغرض منه دراسة المجتمعات الغربية من الداخل دراسة علمية دقيقة لأخذ الأسباب الحقيقية وراء تطورهم وازدهارهم، والانتفاع بعلومهم وآدابهم وسلوكهم الذي أوصلهم إلى ما هم عليه، وترجمة كل ما أنجزوه إلى لغات العالم الإسلامي والاعتراف بما فعلوه حتى يتسنى للعالم الإسلامي الاقتداء بهم ومحاولة ركب الحضارة العالمية من جديد .

ثانياً: نشأة الاستشراق والاستغراب.

اختلف الباحثون في تحديد دقيق لنشأة الاستشراق سنة معينة أو فترة معينة لنشأة او متى ظهر فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام. وهناك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين. ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين.

بينما يرى الآخرون أنه بدأ بعدما فتح المسلمون الأندلس ، وجنوب إيطاليا وصقلية وقيام الدولة الإسلامية ، حيث أخذ الأوربيون الفارون من الجهل والتخلف الحضاري يبحثون عن أسباب نهضة المسلمين (...) هذه الفترة تعتبر مرحلة الانبهار بالحضارة العربية الإسلامية، فبدأوا يدرسون علوم المسلمين ولغاتهم لعلمهم يظفرون بما يوقفون به هذا التيار الجديد او يكتسبون من علومه ما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم وجهلهم (...) ويؤكد بعض الباحثين ان بعض الرهبان اتجهوا إلى الأندلس وغيرها من مراكز الحضارة الإسلامية في أوربا أيام ازدهارها ،وتعلموا في مدارسها وتثقفوا بعلوم المسلمين وثقافتهم وتعلموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات واستطاعوا أن يترجموا بعض الكتب العربية الى لغاتهم.²⁰ حيث بدأوا يترجمون الكثير من أمهات الكتب العربية إلى اللاتينية لذلك أنشأ "دون رايمون الأول" رئيس أساقفة طليطلة مكتب المترجمين سنة 1130 حيث تم بواسطته نقل أمهات كتب الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة .وفي هذه المرحلة أيضا تمت أول ترجمة للقران الكريم وكانت سنة 1143 على يد راهب انجليزي يدعى (هارمان) لكن هذه الترجمة لم تظهر الى حيز الوجود نظرا لخوف الكنيسة من تأثيرها على الرأي العام المسيحي بما تعطيه من مفاهيم إسلامية ربما تساعد في انتشار

الإسلام بين المسلمين . ولذلك ظلت هذه الترجمة حبيسة دير (كلوني cluny) بجنوب فرنسا ولم تظهر إلا في سنة 1543.⁽²¹⁾ وثمة رأي أن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الإسلامية⁽²²⁾.

ومن الآراء في بداية الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجمع فيينا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما. ويرى الباحث الإنجليزي ب. إم هولت P.M. Holt أن القرارات الرسمية لا يتم تنفيذها بالطريقة التي أرادها صاحب القرار لذلك فإن القرار البابوي هنا لا يعد البداية الحقيقية للاستشراق.⁽²³⁾ حيث نشأة الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام (1312) بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغات العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس و أكسفورد وبولونيا وافينونوسلامانكا .

ويرى "رودي بارت" أن بدايات الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ، كما ظهر في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي²⁴.

وفي القرن التاسع عشر وما بعده ، أصبح الاستشراق في المؤسسات العلمية الهامة في الغرب ، وقوة معرفية للحكومات الأوروبية في شؤون الشرق في كافة مناحيه ، من خلال المؤلفات والدوريات والبحوث ، وبلغت دوريات الاستشراق ومجالاته ثمانمائة مجلة دورية ، عدا مئات المجلات غير المتخصصة التي تقوم دراسات استشراقية من وقت لآخر مثل مجلات القانون المقارن والتاريخ ومباحث العلوم الدينية ، وتنتشر بمختلف اللغات الأوروبية وبعضها تصدر بثلاث لغات أوروبية ، وتتناول الشرق في لغاته وآدابه وعلومه وفنونه قديمها وحديثها.²⁵

فالبداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم ولا سيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها الصناعية والعلمية وأصبح فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث قد انطلقت منذ القرن السادس عشر حيث ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراس للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل كرسي أكسفورد عام 1638 وكامبريدج عام 1632. ويضيف سمايلوفيتش بأن تأسيس الجمعيات العلمية مثل الجمعية الآسيوية البنغالية والجمعية الاستشراقية الأمريكية والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية وغيرها بمنزلة "الانطلاقة الكبرى للاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاماً فعالاً في البحث، والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية."⁽²⁶⁾ وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستردى ساسي Silvester de Sacy التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن.⁽²⁷⁾

إلا أن بداية الاستشراق العلمي الحقيقي يعود إلى المستشرق الفرنسي سلفستردى ساسي" الذي أصبح إمام الاستشراق في وقته واليه يرجع الفضل في جعل باريس مركز للدراسات العربية وكعبة يؤمن بها التلاميذ والعلماء من مختلف البلدان الأوروبية يتعلموا على يديه.²⁸ بينما المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson الذي أشار إلى أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام 1799⁽²⁹⁾.

فإذا وضعنا بقصد التبسط منتصف القرن التاسع عشر فإننا نعني بهذا فقط أن الصفة العلمية بالمعنى الحديث ظهرت في هذا الوقت على الاستشراق بوضوح أكثر من ذي قبل. ولكن النية المتجهة إلى فهم الموضوعات فهما موضوعيا ، كانت موجودة قبل ذلك بكثير وجودا يمكن إثباته بالأدلة والشواهد ، وكانت أوضح ما تكون في

الدراسات اللغوية ودراسة اللغة العربية خاصة، وهذا هو السبب الذي يظل من أجله المستشرقون العاملون في الصعيد اللغوي بمنأى عن هجوم الرأي العام الإسلامي في أيامنا هذه.³⁰

هذا في الاستشراق لكن عند التحدث عن الاستغراب فهناك أيضا وجوهات نظر مختلفة حول نشأته لكن ليست ككيفية وجود الاستشراق ، فالمتبع لتاريخ تطور المسلمين أنهم كانوا السباقين لدراسة الغرب آنذاك فقاموا بنشاط لم يرق به غيرهم ففتحوا أبواب العلم لكل البشرية حيث غصت منابع العلم ومراكزهم آنذاك من مختلف البلدان والعلوم وأصبحت بغداد ودمشق والأندلس مراكز إشعاعية علمية قاموا من خلالها بترجمة أمهات الكتب الإغريقية والرومانية والفارسية واستفادوا من علوم وتجارب الصين والهند واخذوا من علومهم بما ينفعهم وبنوا على ذلك ، حيث شجعوا العلماء من كل أقطار المعمورة باختلاف عقائدهم وأعراقهم فرحل آنذاك العلماء من كل أقطار العالم باتجاه العالم السعيد كما سماه المستشرق الأمريكي "فليبس" ، واليوم الغربيون يفعلون نفس الشيء بتشجيع الكفاءات من كل أنحاء العالم وتوفير لهم مستلزمات الحياة الراقية كما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية "البطاقة الخضراء" Green card وبناء ما يسمى المدينة العلمية LossAlamous ، كما فعل الأوروبيون لما استشعروا بالخطر بتشكيل ما يسمى بالبطاقة الزرقاء (Blue carte) منافسة لضرتها الخضراء الأمريكية ، وفي هذا المقام يمكن القول أن الاستغراب لم يولد اليوم بل كان قديما لم يكن يسمى فقط بهذا الاسم كبقية العلوم والصناعات إلا أنه توقف نتيجة ضعف وهوان وانحطاط الأمة الإسلامية ، فحزت في نفس بعض المثقفين الغيورين على أممهم أن يحيوا هذا لما لا حظوا تكالب الغرب بكل الوسائل على هذه الأمة ومن الأوائل إن لم نكن مجحفا في حق الآخرين حسن حنفي الذي بذل قصارى جهده لإحياء هذا في نفس الأمة الإسلامية حتى يكون لها مكان في هذا الزمان حيث فقدت بوصلتها وأصبحت تستهلك حتى الأفكار وهذا ما ذكره "مالك بن نبي" مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" فهذا الاستغراب هو محاولة لمعرفة الغرب من الداخل والاستفادة من كل تراثهم المادي والمعنوي حتى نهض من جديد "الحكمة ضالة المؤمن" .

ثالثا: أسباب نجاح الاستشراق وتعرش الاستغراب.

يرى الكثيرون أن المستشرقون نجحوا في مساعيهم وما يدل على ذلك أرض الواقع حيث اليوم هم في مقدمة الأمم ونحن في مؤخرتها ، حيث تطور وصنعوا مجددهم وحضارتهم على أنقاض الحضارة الإسلامية التي زحرت أيامها العلوم والمعارف مستفدين من ذلك الإشعاع الحضاري ولعل أسباب نجاحهم يعود إلى ما يلي:

- تشجيع الكنيسة لأبنائها لدراسة أحوال المسلمين وعلومهم ومعارفهم قصد الاقتداء بهم. حيث قامت الكنيسة بترجمة القرآن الكريم سنة 1143م وفسروا القرآن وعرفوا فحواه واستغلوه في حياتهم اليومية منها العدل بين الناس.

- بزوغ رغبة جامعة لدى الباحثين الغربيين لمعرفة خبايا وأسرار تطور المسلمين .

- بعثات تبشيرية استشراقية لغرض السيطرة على مقدرات العالم الإسلامي ، وهذه البعثات مولت من طرف مؤسسات حكومية ودينية وأشخاص ذو مال واهتمام بتطور العالم الغربي المسيحي.

- جيوش جرارة تزخر بجناحيها بمجموعة من المترجمين والباحثين المتخصصين في التنقيب عن الآثار والمخطوطات الإسلامية.

- سرقة وشراء المنتج الثقافي والعلمي من البلدان الإسلامية و حفظها في أرشيفهم حتى تتعلم منه الأجيال اللاحقة .

- وجود أذاب وعملاء مسلمين (دخلاء) لا يهتمهم إلا مصالحتهم باعوا جزء من هذه المخطوطات ببضع دأراهم.
- وجود مستغربين بين أهل البلاد الإسلامية هدفهم بناء حضارة غربية على أنقاض إخوانهم.
- تخصيص الحكومات والمؤسسات الغربية معاهد خاصة بالعلوم الشرقية سواء كانت في باريس أو ألمانيا أو انجلترا النمسا وتخصيص أموال طائلة لذلك.
- تعزيز روح التفوق لدى أبنائهم وتمكينهم من الدراسات المختلفة.
- تشجيع السياحة العلمية إلى هذه الأقطار لاكتشاف ما لم يكتشف بين أبناء هذه الأمة.
- تشجيع الهجرة لشباب الأمة الإسلامية للاستفادة من خبراتهم وتراث أجدادهم.
- هذه بعض أسباب نجاح الاستشراق ، إلا أن تعثر الاستغراب نوجز جزء منه فيما يأتي :
- عدم اكتراث الأمة الإسلامية بما يجري في العالم ومحافظةها على سبائها.
- معظم البلدان الإسلامية كانت تحت الاستعمار ولم تصحوا بعد من هذا الفزع.
- غياب التمويل الحكومي أو حتى رجال الأعمال في مثل هذه الدراسات .
- عدم وجود برنامج أو مشروع يشجع هذه الأعمال إلا من بعض الأفراد الذين لا يستطيعون القيام بمثل هذه الأعمال التي تتطلب جهدا ووقتا وأموالا.
- معظم أنظمة العالم الإسلامي أنظمتها دكتاتورية لا تشجع مثل هذه الأعمال خوفا من فطنة مجتمعاتها.
- معظم أنظمة العالم الإسلامي مرتبنة للغرب وتأخذ نواهيها ونصائحا منه وبالتالي لا تشجع هذه الدراسات التي تضر غيرها.
- معظم أنظمة العالم الإسلامي متشبثة بالكراسي ولا يهتمها هذه الأشياء لا من قريب أو من بعيد.
- قوقعة العالم الإسلامي على نفسه لغياب إستراتيجية المواجهة المستقبلية التي لا مفر منها.
- المستوى العلمي لدى منظومات العالم الإسلامي متدني وبالتالي لا يفكرون أو يستطيعون القيام بهذه الأعمال، وإن وجدوا فهم أقلية أو مغتربين تحت رحمة الدول العظمى.
- المستوى المعيشي في معظم الدول الإسلامية ضعيف فلا يمكن أن يفكر إنسان في هذه الأمور وحاجياته البسيطة الضرورية لم يحققها.
- انهزامنا نفسيا أم الغرب وانهيارنا به ، ومعظم من يرغبون في ذلك مقنعين أنه مشوار طويل يحتاج الوقت الطويل والشاق.
- غياب الإرادة الجماعية للقيام بهذه الأمور ومنا من يعتبره ضياع للوقت .
- خنوع وخضوع واقتناع فمن بيننا لديه مبرارات بأن الله سخر لنا الغرب لخدمتنا فلما هذا التعب.

١١. خاتمة:

من خلال تتبعنا لظاهرة الاستشراق وجدنا أن بدايتها الفعلية كانت مع بداية الحملة الصليبية على بلاد المسلمين، فلم تكن هذه الحملة عسكرية فقط بل كانت علمية استكشافية لمخازن الفكر والعلم الذي يتمتع بها هذا العالم الشرقي، بالإضافة إلى نقاط قوته وضعفه، وعزز هذا العمل بالإنفاق السخي من قبل هذه الدول والجمعيات الدينية، وكان الغرض هو معرفة هذا العالم الإسلامي من الداخل بغية تفكيكه وإزاحة القوة التي جعلته يصمد، فلجؤا إلى محاولة تلهيج اللغة العربية وإظهارها بمظهر العاجز عن المسايرة، وتارة بحكم اقلية مضطهدة، وتارة بحكم دين رجعي قديم غير مواكب للعصر، ولم يتراجعوا عن مخططاتهم لحد الساعة وحققوا الكثير مما كانوا يطمحون إليه من تفكيك البنية التعليمية والعقائدية وظهور الاختلافات الأيديولوجية والمذهبية والعرقية بشكل جلي، حيث لم يجدوا من يواجه تلك المخططات، إلا أن ظهرت مجموعة من النخب الإسلامية بطريقة فردية لمجابهة هذا المشروع بإحداث الاستغراب في مقابل الاستشراق والغرض منه دراسة المجتمعات الغربية من الداخل، قصد معرفة نقاط ضعفها وبالتالي القدرة على مواجهتها، إلا أن هذا المشروع هو اجتهاد فرداني غير ممل ومدعم من قبل الهيئات والأنظمة الإسلامية، فهو اجتهاد طموح يراوح مكانه إلا أن يجد الوقت المناسب والامكانيات والتدعيم السخي مثلما وجده الاستشراق.

الإحالات والمراجع:

- 1- ابن منظور: *لسان العرب* ، دار صادر بيروت ، 1997، ج 10، ص 303
- 2 - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 1، ص 482.
- 3- عبد الجبار ناجي: تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، 1981 ص 23.
- 4- محمد فاروق النيهان: الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم والثقافة، إيسيسكو، 2012، ص، 08.
- 5- سعيد صالح سعد الدين: الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، بيروت، ط1، بيروت، 2006، ص 19.
- 6- لخضر شلي: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، الجزائر، 2001، ص 26.
- 7 - فاروق عمر فوزي: الاستشراق و التاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، الأهلية للنشر و التوزيع، الأردن، ط1 ، 1998، ص، 30.
- 8- ا. ج آربري: المستشرقون البريطانيون، تر (محمد الدسوقي النوبي)، لندن ، 1946، ص 8.
- 9 - فاروق عمر فوزي: الاستشراق و التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص: 30.
- 10 - محمد فاروق النيهان: الاستشراق تعريفه، المرجع السابق ، ص، 08.
- 11- رودى بارت. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). تر (مصطفى ماهر) دار الكتاب العربي ، القاهرة ، (دون تاريخ نشر)، ص 11.
- 12- إدوارد سعيد: الاستشراق، تر (كمال أبو ديب)، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 2005، ص 120
- 13 -قحطان حمدي محمد :ادوار المستشرقين في تشويه معالم السنة النبوية، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 03 ، العدد 10 ، جامعة تكريت، العراق، ص 04.
- 14- مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين ،مجلة الفكر العربي، العدد 32، ص 130.
- 15 - احمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1998، ص 37.
- 16- ابن منظور: *لسان العرب* ، دار صادر بيروت ، 1997، ج 05، ص 17.
- 17-حسن حنفى: مقدمة في علم الاستغراب، مطبعة الدار الفنية ، القاهرة 1991 ، ص 29-31-32.
- 18- أحمد سمايلوفتش: المرجع السابق ، ص 35 – 38)
- 19 - ادوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، تر (صبيح حديدي)، دار الفارس عمان ، 1996، ص 149-150.
- 20- محمد فتح الله الزيايدي: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ليبيا ، 1983، ص 63-64.
- 21 - المرجع نفسه ، ص 65.
- 22 - علي النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1993، ص 23-31.
- 23 - P. M. Holt. The Origin of Islam Studies In AL- Kulliya. No.1, 1952, 20-27.
- 24- رودى بارت: المرجع السابق، ص 09.
- 25- عبد الله على العليان: الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ، المركز الثقافي العربي ، ط1، 2003، ص 25.
- 26 -المرجع نفسه، ص 81.
- 27- نجيب العقيلي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، (بدون تاريخ)، ج 1، ص 140 .
- 28- ادوارد سعيد: الاستشراق، المرجع السابق، ص 109.
- 29- مكسيم رودنسون: الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، تر (محمد زهير السهموري)، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ، 1978، ص 27.
- 30- رودى بارت : المرجع السابق، ص 17.